كلية اللغات والآداب والفنون

الأستـــــاذة : نعيمة بويغرومني

شعبـــــة : الدراسات العربية

الفـــصـل : الثالث

الحصـــــة : النقد القديم

الأســـدوس :الخريفي

الموسم الجامعي: 2021/2020

المحاضرة الثالثة (قضايا نقدية)

عناصر المحاضرة

(1)قضية القديم والمحدث

(2) قضية الصنعة والطبع

(3) قضية الصدق والكذب

(4) قضية السرقات الشعرية

2- قضية الطبع و الصنعة

قبل الخوض في هذه القضية، نشير بداية أنها قضية بلغت ربيع عمرها في العصر العباسي . وهو أمر يتماشى وطبائع الأمور، ذلك أن هذا العصر هو العصر الذي نضج فيه النقد، وتعددت بيئاته، وتوضحت إشكالاته وتعددت قضاياه، تبعا للتطور الذي شهده الأدب العربي نفسه، في فنونه ووسائل تعبيره، لأسباب متنوعة منها الو افد الأجنبي جنسا وفكرا وثقافة.(نشاط حركة النقل والترجمة- الأثر القر آني –عناية الخلفاء بالشعراء), فما المقصود بمفهوم الطبع و الصنعة أولا ؟

إن الطبـــع ليس هو الارتجال و البديهة ،بل هو الموهبة ، كما أن الصنعة ليست هي التكلف والتصنع بل هي التهذيب والتحسين والتجويد . فليس كل شعر مطبوع جيدا ومستحسنا وليس كل شعر مصنوع مرفوضا. والو اقع أن الشعر هو موهبة تتطلب بالموازاة صقلا وتهذيبا، وعلى هذا الأساس فالنقاد لا يرفضون الصنعة الشعرية ولكنهم يرفضون التصنع والزخرفة اللفظية والمعنوية كما انتشر في العصر العباسي , فالعرب من البداية اعتبروا الشعر صناعة ،كما قال الجاحظ : إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير

بالرجوع إلى تاريخ الشعر، فقد كانت العرب تسمي كل شاعر باسم يماثل ويعكس طريقته في قول الشعر، فقد لقب ربيعة بن عدي بالمهلهل لأنه أطال الشعر وهلهله، ولقب النابغة والمرقش بهذين الإسميين لإجادتهما الشعر، وأطلق لفظ عبيد الشعر على الشعراء الذين كانوا ينقحون أشعارهم حولا كاملا، لقد كانت قصائدهم تسمى الحوليات أو المنقحات أوالمحكمات ، قال الحطيئة: " خير الشعر الحولي المحكك" وقال الأصمعي :"زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر"

ولبعض الشعراء السابقين للعصر العباسي أبيات ومقطعات يقرّون فيها بالصنعة، ويصورون الجهد الذي يبذلونه في "نحت" القوافي و"بناء" الأوزان، منهم عدي بن الرقاع العاملي (ت. 95 ه) الذي " يبيت" يجمّع أدوات القصيدة، ويجهد من أجل تجنيبها عوامل النقص والعيب

وقصيدة قد بت أجمع شملها حتى أقوم ميلها وسنادها

نظـر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقـافه منآدها

فألفاظ عدي بن الرقاع: " بتّ أجمع، أقوّم، المثقف، الثقاف "، تجعل منه شاعر صنعة يقضي ليله في جمع

مواد قصيدته كأنه بنّاء يرصف الحجر إلى الحجر، كما تُظهر اكتراثه لمآخذ النقاد الذين قد يعيبون عليه ما قد يشوبها من سناد.

فمن أين جاء هذا المفهوم الملتبس لمصطلح الطبع؟

لقد تسرب هذا المفهوم، ووجد من يتبناه بسبب الاتجاهات التي استخدمت هذا المصطلح لهدفين:

1- الانتصار للطبع ردا على الشعوبية في سياق الحرب الثقافية بين الشعوبيين والعرب:

كما ورد عن الجاحظ كأشهر المدافعين عن الثقافة العربية فكانت بلاغة العرب وبيانهم اشهر الجبهات التي شهدت صولاته وجولاته ضدهم ،لقد اعتبر أن للعرب بديهة لا توجد عند التيار الشعوبي الذي سيطر على معظم نواحي الحياة السياسية والادبية وحاول سلب العرب فضائلهم ، وليس بخاف غرض المفاضلة في نص الجاحظ الذي يبسط فيه رايه هذا حين يربط البيان العربي بالطبع مفضلا غناه على بيان الاعاجم الذي هو وليد الصنعة ،ناتج " عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول تفكر ودراسة الكتب ،وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم ...."البيان والتبيين "

2- الانتصار للطبع لإبعاد من يدعون بأنهم شعراء متكلفون :فهنا المقصود بالطبع أي البديهة والارتجال يقول ابن قتيبة :"الشاعر الحقيقي يملك طاقة على القول تتمثل في الطبع" كما يقول " المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي "وعموما، كان النقاد يفضلون الصنعة في الشعر ولذلك كانوا يطلبون من الشعراء التعلم وحفظ الشعر ورو ايته والتدريب عليه، يقول الجرجاني :"الشعر علم يشترك فيه الطبع والرو اية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ". كما أنه ذكر أن الطبع هو المهذب الذي صقله الأدب وشحذته الرو اية وجنته الفطنة ،أما ابن الأثير فقد شبه الطبع بالنار الكامنة في الرماد والتعلم هو الآلة التي تحييها.

ومما يقوي الصنعة في الشعر ويزيد في الإتقان كثرة المحفوظ الشعري، وقدرته على صناعة الشعر يقول ابن طباطبا العلوي "بأن إدامة النظر في الأشعار ترسخ أصولها في قلبه ".

وتأكيدا على الحاجة الملحة للحفظ، أورد ابن منظور قصة أبي نواس الذي طلب من خلف الأحمر أن يأذن له بنظم الشعر، ولكنه لم يأذن له إلا بعد أن حفظ ألف مقطوعة من أراجيز العرب ثم طلب منه نسيانها وذلك كله ليحسن في قريضه.

ويتضح هذا الأمر بشكل جلي مع حازم القرطاجني الذي كان يحث الشعراء على التعلم، فالشاعر لا يحتاج إلى الطبع وحده لأنه سينتج شعرا قليلا غثا لأن العرب لم تستغن في قولها للشعر عن التعليم والإرشاد، والشاهد على ذلك اننا لم نكن نجد شاعرا مجيدا إلا وقد لزم شاعرا غيره لمدة طويلة ، وأخذ عنه قوانين النظم واستفاد منه الدربة في البلاغة.

وإلى مثل ذلك ذهب ابن خلدون بعد حديثه عن كيفية عمل الشعر وإحكام صنعته وشروط ذلك، ومنها حفظ الكثير من أشعار المجودين من الشعراء المتقدمين والرواية عنهم، ثم نسيان ذلك المحفوظ بالجملة، ومحاولة النظم بعد تمام النسيان، مع تحديد قافية شعره، مع تخيُّر الأوقات الملائمة للنظم؛ لأن للشعر أوقات يجيء فيها .

بالمقابل ، نجد من النقاد المعاصرين من اعترض على ثنائية الطبع و الصنعة ،وفي طليعتهم الدكتور

شوقي ضيف الذي لم يتوان عن المجاهرة برأي له مشهور: فهو يقر بالصنعة، ولكنه ينفي نفيا قاطعا الطبع في الفن عموما ، وهو ما أعرب عنه بقوله :"ورأيت ان هذا التقسيم لا يقوم على أساس صحيح وما الطبع والمطبوعون في الشعـــــــر والفن ؟ ان كل شعر متأثر بجهد حاضر وموروث أكثر من تأثره بما يسمونه نقادنا باسم الطبع ، وهل هناك شعر لا يعمد فيه صاحبه إلى بعــض تقاليد في أساليبه وموضوعـــــاته ومعانيه ؟".

وخلاصة القول، فالصنعة رافد للطبع ولا غنى لأحدهما عن الآخر،كما ان الطبــع شرط أولي للإبداع الفني،

و الصنعة شرط أساسي لخروج الإبداع مستويا، مستكملا للشروط الجمالية، وذلك ما يضمن له الرواج في سوق الجمال والفن،

،

3-قضية الصدق والكذب

إنَّ المتأمل للدرس النقدي العربي القديم يجد أن قضية الصدق والكذب، أسالت حبرا كثيرا عند النقـــــاد واختلفت لأجل ذلك وجهات نظرهم، لاختلاف مرجعيات كل واحد منهم، ولعلَّ جماع ما قيل في هذه القضية لا يكاد يخرج عن ثلاثة مو اقف واضحة، كل موقف له مؤيدوه، وله أدلته، وله وجهاته,

ولم يكن النقاد هم وحدهم الذين تناولوا هذه القضية بل إن الشعراء أنفسهم قد تعرضوا لها وكشفوا عن مذاهبهم فيها، وبنوا على أساسها نظرتهم إلى الإبداع ومفهومهم للشعر. وقد كان للفلاسفة أيضا إسهاماتهم أيضا. ولو ذهبنا نستقصي كل ما ورد في هذه القضية، وننظر في أبعادها الأدبية الشعرية والنثرية، والبلاغية والفلسفية، في تر اثنا النقدي لما كان لنا في عجالة هذا المحور كفاية.

بداية نقر بأن لفظ الكذب في الشعر له حمولة أخلاقية ، وعليه فقد رفض الشعر من قبل البعض لهذا السبب، وفي هذا السياق، وجب التذكير بأن الحكم بالصدق والكذب على الشعر كمعيار أخلاقي أولا ونقدي ثانيا ، توطد بشكل لافت مع مجيء الإسلام ، ولنا في الأحاديث النبوية الشريفة ،الكثير من دعوات النبي صلى الله عليه وسلم للصدق في الأقوال ،وفي ثنائه على الشعراء الصادقين، وذمه للكذب والكاذبين، لينتقل هذا المعيار الأخلاقي إلى صحابته صلى الله عليه وسلم من بعده،بل لقد أضحى معيار الصدق بعد ذلك من أهم مقاييس صحة المعنى وجودته عندهم .

بالمقابل، هناك من يؤمن بان الكذب الفني هو جوهر الشعر، حتى سادت مقولة " أعذب الشعر أكذبه"

وفي هذا الصدد يقول البحتري:

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يكفي صدقه كذبه

وعلق عبدالقاهر الجرجاني على هذا البيت، بانه لم يقصد بالكذب إعطاء الممدوح ما ليس له من صفات ، ولكن قصد ان الشعر لا يجب ان يرتبط بالمنطق وما يقبله العقل فقط ، لأن :

الشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

وبالعودة إلى تر اثنا النقدي نجد -كما أشرنا في مقدمة هذ القضية - أن النقاد لم يكونوا جميعا على رأي واحد، فمنهم من ناصر الصدق على الكذب ، ومنهم من دعا إلى الكذب والغلو والإفراط، ومنهم من وقفوا موقفا وسطا :

1 -فمنهم من اعتبران أكثر الشعر قد بني على الكذب و النعوت الخارجة عن العادات والألفاظ - الكاذبة ، مثل بشربن المعتمر(ت 210هـ)، و ابن السيد البطليوسي (444هـ- 521هـ) والذي كان يرى بان الشعر مبني على تزوير المقال وكذب يصور بصورة صدق، بل إن ابن بسام الشنتريني (450هـ -542هـ)- ابتعد عن قول الشعر لان اكثره خدعة محتال وجده (بكسر الجيم) تمويه وتخييل وهزله تضليل ، وقد حدد ابن بسام صلته بالشعر فقال" ومع ان الشعر لم ارضه مركبا ولا اتخذته مكسبا ولا الفته مثوى ولا منقلبا انما زرته لماما ولمحته تهمما لا اهتماما "

وبعد ابن طباطبا العلوي (ت 322 هـ) من اوائل الذين نادوا بضرورة الربط بين القيمة الأخلاقية وبين النواحي المختلفة المتعلقة بالشعر كالصدق في التشبيه والصدق في عاطفة الشاعر، فهو يرى أنه ينبغي للشاعر أن يتجنب الإشارات البعيدة، والإيماء المشكل، ويعتمد ما خالف ذلك، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها.

2 فئة ثانية ترى أن الكذب ضرورة للشعر وبه يتحقق وجوده : حتى إن ابن حزم كان يرى الكذب الفني أساسا للشعر، فكل شيء يزينه الصدق إلا الساعي والشاعر فإنه يشينهما ولعل بعض الصدق يكون مدعاة للسخرية كقول الشاعر:

الليل ليل والنهار نهـــــــار والبغل بغل والحمار حمار

والديك ديك والحمامة مثله وكـــــلاهما طائر له منقار

وقد وافق ابن لبال الشريشي (508هـ -582) رأي ابن حزم حين قال بأن الشاعر كلما تجاوز في المدح وغلا وتجاوز الصدق إلى الكذب كان أشعر، والشعر ليس مطالبا بالأمانة في تقديم الأشياء كما هي في الواقع ،بل تقديمها بصورة جديدة مبدعة ومبتكرة عبر هذا الإفراط والغلو " الكذب الفني ".

3 - وهناك فئة ثالثة أسقطت مسألة الصدق والكذب من الشعر لاسيما مع العصر العباسي :مثل قدامة بن جعفر الذي حاول تخفيف حدة النظر إلى الكذب على أنه مخالفة للواقع ، إلى القول بأنه من الغلو المستملح الذي وجب حضوره في الشعر، وعليه ، فقد استبعد حتمية مقولة الصدق والكذب عن العملية الإبداعية فهو يرى :" أن الصدق ليس معيارا نقديا يميز الجودة من الرداءة في الشعر، كما أن البحث عن الصدق أو عدمه ينتقل بنا من الشعر إلى الشاعر، أو من الشعر إلى المعتقد، فنطابق بين الشعر وشيء خارجي منفصل عنه، دون أن نهتم الاهتمام الواجب بصورة الشعر أو شكله أو صياغته، وهي أساس الحكم بالجودة" جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، ص 100

وكذلك فعل ابن خفاجة الأندلسي حين قال بأن السؤال حول صدق الشعر أو كذبه لا يجب ان يطرح لأن طبيعة الشعر وجودته مرتبطة بالتخييل وليس بالصدق أو الكذب.

أما فئة الفلاسفة المسلمين ،فقد ابتعدوا عن هذه الثنائية وربطوا الشعر بثنائية الإقناع والتخييل، أي تقديم الحقيقة بطريقة تخييليه، فالشعر عندهم يماثل الو اقع ولا يطابقه، لأن الأقاويل الشعرية في نظر الفارابي مثلا (ت 339هـ) تركب من أشياء شانها ان تخيل في الامر حالا او شيئا أفضل او أخس.

وكذلك قال ابن سينا بأن الاقاويل الشعرية ليس من شروطها الصدق أو الكذب ولكن التخييل .

وممن رأى التوسط في الحكم في هذه القضية حازم القرطاجني ، وذلك بعدما تناول جميع أوجه الصدق والكذب كما يراها بقوله "فقد تبين من هذا ومما قبله ان الشعر له مواطن لا يصلح فيها الا استعمال الاقاويل الصادقة ومواطن لا يصلح فيها الا استعمال الاقاويل الكاذبة ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الكاذبة اكثر واحسن ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجح...." منهاج البلغاء وسراج الأدباء. فهو كذلك .يرى بان الشعر يرتبط بالتخييل والمحاكاة وليس بالصدق والكذب.

وخلاصة القول حول هذه القضية نجملها كالتالي:

--تنوعت مو اقف النقاد العرب القدامى لقضية الصدق والكذب، وهي ترجع في مجموعها إلى ثلاثة مو اقف،

- من رأى من النقاد ضرورة صدقية الشعر انطلقوا من فكرة ضرورة الربط بين القيمة الفنية، والقيمة الأخلاقية وعلى رأس أولئك ابن طباطبا العلوي ،

- من قال بحتمية الكذب في الشعر جعل من بعض الأساليب البلاغية؛ كالمبالغة والغلو والإغراق والتخييل دليلا على مقبولية الكذب في الشعر، وإلا غدت الصناعة الشعرية باردة لا تقدم الفن والجمال المطلوبين،

- الموقف الثالث الذي يرى الاقتصار في قول الشعر بين الصدق والكذب، انطلق من اعتبار كليهما يأتيان على حسب المقام الوارد فيه .

- هناك من النقاد والدارسين من يرى أن هذه القضية كان الأولى والأجدر فيها انتقاء مصطلحات أخرى كالتخييل والمحاكاة بدل الصدق والكذب.